

## المبحث الرابع معاشرته لأزواجه

### المطلب الأول: تعريف المعاشرة

● لغة<sup>(١)</sup>: المراد بالعشيرة هي: المخالطة، تقول: عاشرته معاشرة واعتشروا وتعاشروا أي: تخالطوا، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأذنون، وقيل: هم القبيلة كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup> والجمع عشائر، وعشير المرأة زوجها.

يقول ﴿عَشِيرَتُكَ﴾ (وتكفرون العشير)<sup>(٣)</sup> لأنه يعاشرها و تعاشره كالصديق والمصادق وهي عشيرته لأنها تعاشره ويعاشرها وهو فعيل من العشرة أي: الصحة.

● اصطلاحاً: وهي المراد بها في هذا المطلب: المخالطة والمصاحبة بين الزوجين بالمعروف، والخلق الحسن كما قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٤)</sup>.  
ويؤيده قول الإمام الغزالي رحمه الله في وصفه للمعاشرة الحقيقية بين الزوجين اقتداءً بالنبي ﴿ﷺ﴾ في معاشرته لأزواجه: (حسن الخلق معهن واحتمال الأذى

<sup>١</sup> مادة (عشر) لسان العرب، ج: ٤، ص: ٥٧٤ مختار الصحاح، ج: ١، ص: ١٨٢، المعجم الوسيط، ج: ٢، ص: ٦٠٢ النهاية، ج: ٣، ص: ٢٤٠.

<sup>٢</sup> سورة الشعراء: ٢١٤.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري، ج: ٢، ص: ٥٣١ كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، صحيح مسلم، ج: ١، ص: ٨٦ كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات.

<sup>٤</sup> سورة النساء: ١٩.

منهن، ترحماً عليهن لقصور عقلمهن، وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

والباحث في الحياة الزوجية للنبي ﷺ يجد أنها تطبيق عملي دقيق لقوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٢)</sup> أجل إن كل حياة الرسول ﷺ زوجاً وكل شؤونها انطلقت من هذه الآية التي تعد أساساً يرجع إليه في شؤون الحياة الزوجية<sup>(٣)</sup>.

ولنتأمل ما قاله أهل العلم من المفسرين وغيرهم في فهمهم لهذه الوصية القرآنية ثم لننظر إلى التطبيق العملي في حياة النبي ﷺ الزوجية في ظل هذه الآية.

المطلب الثاني: وصية الله عز وجل لأهل الإسلام ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٤)</sup>  
 • يقول البيضاوي رحمه الله: (أي بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول)<sup>(٥)</sup>.

• ويقول القرطبي رحمه الله: (أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة والخطاب للجميع ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء

<sup>١</sup> إحياء علوم الدين، ج ٢/ص ٤٢.

<sup>٢</sup> الأساليب النبوية للدكتور عبد السمیع الأنيس، ص ١٧.

<sup>٣</sup> تفسير البيضاوي، ج ٢: ص ١٦٣.

إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش وهذا واجب على الزوج، وقال بعضهم: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له (أي: يتحمل) قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلي في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية فقلت: ما هذا قال: إن هذه الملحفة ألفتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن، وقال ابن عباس (رضي الله عنه): إني أحب أن أترين لامرأتي كما أحب أن تترين المرأة لي<sup>(١)</sup>.

• ويقول ابن كثير رحمه الله: ( طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم و هيأتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بما مثله وكان من أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه<sup>(٢)</sup>.

• ويقول الطبري رحمه الله: (أي: وخالقوا أيها الرجال نساءكم، وصاحبوهن بالمعروف يعني بما أمرتم به من المصاحبة)<sup>(٣)</sup>.

• ويقول أبو السعود رحمه الله: (خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة، والمراد ههنا النّصف في المبيت، والنفقة، والإجمال في المقال، ونحو ذلك)<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> تفسير القرطبي، ج ٥: ص ٩٧.

<sup>٢</sup> تفسير ابن كثير، ج ١: ص ٤٦٧.

<sup>٣</sup> تفسير الطبري، ج ٤: ص ٣١٢.

<sup>٤</sup> تفسير أبي السعود، ج ٢: ص ١٥٨.

• ويقول البغوي رحمه الله: (المعاشرة بالمعروف هي: الإجمال في القول، والمبيت، والنفقة، وقيل هي: أن يصنع لها كما تصنع له)<sup>(١)</sup>.

• ويقول الشوكاني رحمه الله: (أي بما هو معروف في هذه الشريعة، وبين أهلها من حسن المعاشرة وهو خطاب للأزواج أو لما هو أعم وذلك يختلف باختلاف الأزواج في الغنى والفقر والرفاعة والوضاعة)<sup>(٢)</sup>.

• ويقول السعدي رحمه الله: (يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة، والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال)<sup>(٣)</sup>.

فكل هذه الأقوال والتأويلات إذا تأملتها وجدتها تؤكد حسن العشرة بالمعروف ببذل الإحسان وكف اللسان عما لا يحسن ولا يليق والإنصاف في كل شأن من شؤون الحياة الزوجية لتطيب وتدوم تلك الحياة بعيدة عن مكدراتها .

ثم للنظر إلى حال النبي ﷺ في معاشرته لأزواجه كيف كانت وكيف سلك مسالكها لنقتدي به ولنقتفي أثره ولنهتدي بهديه، فقد كان من حسن معاشرته لأزواجه ﷺ أن سلك طرقاً عديدة في معاشرته لهن.

<sup>١</sup> تفسير البغوي، ج ١: ص ٤٠٩.

<sup>٢</sup> فتح القدير، ج ١ ص ٤٤١.

<sup>٣</sup> تفسير السعدي، ج ١: ص ١٧٢.

المطلب الثالث: طرق معاشرته ﷺ لأزواجه: وفيه عدة مسائل

### المسألة الأولى: الوصية بالنساء

إن أي مؤمن في المجتمع المسلم لا يكتسب صفة الأفضلية ولا ينال شرف الخيرية بين المسلمين إلا بعد أن يتقن التعامل الجيد مع أهله، لأنها اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا أحسن الفرد المسلم التعامل معها كان ذلك بمثابة الشهادة له بأنه مؤهل لأن يصبح عضواً نافعاً في المجتمع المسلم<sup>(١)</sup>، وإلى هذا كانت وصية النبي ﷺ في حسن المعاشرة لأهل البيت وخصوصاً الزوجة التي هي عشيرة الزوج. عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)<sup>(٢)</sup>.

• يقول المباركفوري (خيركم لعياله وذوي رحمه، وقيل لأزواجه وأقاربه، وذلك لدلالته على حسن الخلق (وأنا خيركم لأهلي) فأنا خيركم مطلقاً، وكان أحسن الناس عشرة لهم، وكان على خلق عظيم)<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء)<sup>(٤)</sup> وفي رواية (استوصوا بالنساء خيراً)<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن حجر: (استوصوا قيل معناه: تواصلوا بهن وقال الطيبي: أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن، والوصية

<sup>١</sup> الأساليب النبوية ص ١٧.

<sup>٢</sup> سبق تخريجه.

<sup>٣</sup> تحفة الأحمدي، ج ١٠ ص ٢٦٩.

<sup>٤</sup> سبق تخريجه.

<sup>٥</sup> المرجع السابق، ج ٥: ص ١٩٨٧ كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء.

بالنساء أكد لضعفهن، واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن، وقيل معناه أقبلوا وصيبي فيهن واعملوا بهما، وارفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن، قلت وهذا أوجه الأوجه في نظري<sup>(١)</sup>.

وهذا من كمال هديه ﷺ وحسن معاشرته ورحمته بنساء أمته أن انطلقت هذه الوصية للرجال لتستقيم الحياة الزوجية، وليكون المجتمع المسلم مترابطاً متخلفاً بأعالي أخلاق النبي الكريم ﷺ فما أعظمها من وصية. بل لم تقف وصيته بنسائه في حال حياته بل امتدت حتى بعد مماته.

فعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: (إن أمركن مما يهمني بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون) قالت عائشة رضي الله عنها: (فسقى الله أباك من سلسيل الجنة: تريد عبد الرحمن بن عوف، وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بما يقال يبعث بأربعين ألفاً)<sup>(٢)</sup>.

وهذا من جميل خلق عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن عمل بوصية النبي ﷺ وحرص على أزواجه من بعده بالنفقة عليهن مع ما كن فيه من الحاجة والرضا واختيار الدار الآخرة على الدنيا لما خيرن بينهما.

المسألة الثانية: تفقده ﷺ لأزواجه

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على أزواجه فكان في كل يوم يتفقدهن جميعاً ويجالسهن، ويلطفهن في بيت صاحبة النوبة، وهذا الذي سار عليه النبي

<sup>١</sup> فتح الباري، ج ٦ ص ٣٦٨.

<sup>٢</sup> سنن الترمذي، ج ٥ ص ٦٤٨ كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال الشيخ الألباني: حسن، مستند أحمد بن حنبل، ج ٦ ص ٧٧ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

﴿ﷺ﴾ منهج ارتسمه لأزواجه في دخوله عليهن وتفقدته لحاجتهن، وذلك لطول الفترة التي قد تكون بسبب القسم بين تسع نسوة.

● فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن...<sup>(١)</sup>).

ودنوه من نساءه بالتقيل وغيره، وهذا من جميل العشرة حيث تأنس الزوجة من زوجها بقربه ودنوه، فتطمئن نفسها ويزداد حبها لزوجها، وهذا من كمال عشرته ﴿ﷺ﴾ حيث كان يطوف على جميع نسائه كل يوم.

وإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم رأينا الجهل في فقه التعامل بين الزوجين، وهي تقوم إما على الثقافة الغربية في تسلط المرأة وتمرداها على الزواج وعرضها نفسها كالتد داخل البيت يُفقد الإدارة المنظمة وعلى عكس ذلك في الجانب الأخر، ثقافة النظرة الدونية للمرأة في المجتمعات البدائية التي تعامل المرأة على أساس الأعراف التي توارثوها فيعاملونها بدونية وانحطاط، ويسلبونها كل حقوقها مما كان له أثره السيئ في تكوين الأسرة، ولقد أثر هذا على جانب مهم من الأحكام الشرعية وهو جانب التعدد فإن كثيراً من المعددين لا يكلفون أنفسهم معرفة الأحكام الشرعية والهدي النبوي في معاملة الزوجات والتعامل معهن، والرافة بهن، والقيام بحقوقهن، مما كان له أثر في ثوران الغيرة بين النساء وازدياد المشاكل وتحويل البيوت والأسر إلى بؤر للشر والظلم في قضية شرعية وانتقاصها، وهي قضية التعدد، ولو وعى الجميع واجباتهم، ونشرة ثقافة

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج: ٥، ص: ٢٠٠ كتاب النكاح، باب دخول الرجل على نسائه في اليوم.

الواجبات في التعدد لما تضررت هذه الظاهرة في المجتمع المسلم ولما أدى إلى الجفاء في البيوت.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) تسع نساء، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها..<sup>(١)</sup>)، في هذا الحديث يبين لنا أنس بن مالك (رضي الله عنه) كيف كان النبي (صلى الله عليه وسلم) مع أزواجه كل ليلة حيث كان يجتمعن في بيت صاحبة النوبة وهذا برضاهن جميعاً، لأن نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) كن تسع فيطول ويبعد رؤيتها للنبي (صلى الله عليه وسلم) في كل تسع أيام مرة واحدة فكن يجتمعن كل ليلة، وهذا قمة في التفقد وتلمس الحاجات، ليبقى الود والمحبة بين الزوجين.

بل لم يكن لينسى أزواجه بعد زواجه بأخرى، حتى في ذلك اليوم الذي تزوج فيه، ولننظر إلى وصف أنس بن مالك (رضي الله عنه) كيف فعل النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكيف كانت إجابة أزواجه له.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (أولم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى بزينة بنت جحش رضي الله عنها فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن ويسلمن عليه، ويدعوهن ويدعون له..<sup>(٢)</sup>).

<sup>١</sup> صحيح مسلم، ج ٢ ص ١٠٨٤ كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ٤ ص ١٨٠٠ كتاب التفسير، باب لوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت}.

من فوائد هذا الحديث<sup>(١)</sup>

١/ قمة الملاطفة لأزواجه (ﷺ) حيث لم تُنسه العروسُ الجديدةُ أزواجَهُ الأوائِل.

٢/ دليل محبة من جهة الزوج والزوجة فلا هو جفاهن، ولا هن جفونه، ودعون عليه وعلى عروسه.

٣/ اطمئنان الزوج على زوجته لأن تلك الليلة قد يناها شيء من جراء غيرها.

المسألة الثالثة: الوفاء والذكر الجميل

لقد كان النبي (ﷺ) أصدق الناس وفاءً، وأحرص الناس حفظاً للحقوق، ويتبين ذلك في موافقه في حفظ الوفاء لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها الزوجة الأولى، والتي كانت أكبر معين للنبي (ﷺ) في حياته وفي دعوته فلما ماتت لم يكن لينسى لها تلك العشرة والحياة الطيبة، تجلى ذلك في مواقف تبرهن صدق محبته لها ووفائه بحقها فمن ذلك:

١/ كثرة ذكرها بالعقل والخير والثناء عليها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة ما غرت على

خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ﷺ) إياها...<sup>(٢)</sup>).

يقول ابن حجر في شرحه للحديث: (وأصل غير المرأة من تحيل محبة غيرها

أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة. وقال القرطبي: مرادها بالذكر لها

مدحها والثناء عليها)<sup>(١)</sup>.

<sup>١</sup> لمن تعامل النبي (ﷺ) في الحياة الزوجية: لأديب الكمطاني، ص ٩٢.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ٣: ص ١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي (ﷺ) خديجة وفضلها رضي الله عنها.

## ٢/ الهدية والصلة عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت (..وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يعثها في صدائق خديجة...) (٢).

للعلاقات بين أفراد الأسر وإقامة الصداقات في المجتمع فوائد كثيرة توحى وتؤثر في التعامل وتبني مجتمعاً متماسكاً، ويكثر البر، ويظهر التعاون بين أفرادهم، والتناصر، والتواد، وهي من الظواهر الأخلاقية التي وضعها الإسلام، وقد حث عليها نبينا محمد ﷺ وقد كان يبر صديقات زوجته المتوفية بعد وفاتها من باب الإحسان إليها، وهذا مظهر من مظاهر علم الاجتماع التربوي الذي ينبغي أن يدركه الدعاة والمربون، وقد جاءت الأحاديث تدل على بر أصدقاء الوالدين والإحسان إليهم بعد موتهم كل ذلك محافظة على المظاهر الاجتماعية الفاضلة.

## ٣/ فرحه بمن يُذكره صوتها وبمن كانت تحبها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: اللهم هالة، قالت: ففرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش همراء الشديقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها) (٣).

<sup>١</sup> فتح الباري، ج ٧، ص ١٣٦.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ج ٣، ص ١٣٨٩.

## ٤/الدفاع عنها وبيان سبب محبتها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ( فأغضبه يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها)<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (. . . فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية للإمام أحمد: وضع فيها النبي ﷺ سبب هذا الحب لها فقال (قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بماها إذ أحرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن حجر رحمه الله: (وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فقد صان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان)<sup>(٤)</sup>.

وقال النووي: (في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً وميتاً، وإكرام معارف ذلك الصاحب)<sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٨٨ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

<sup>٣</sup> مسند أحمد بن حنبل، ج ٦ ص ١١٧ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا مسند حسن في المتابعات.

<sup>٤</sup> فتح الباري، ج ٧ ص ١٣٧.

<sup>٥</sup> شرح النووي على مسلم، ج ١٥ ص ٢٠٢.

## المسألة الرابعة: مراعاة الطباع والصفات البشرية

## ١/العمر

لقد كان النبي ﷺ يراعي حال أزواجه، وذلك بفهمه للطبيعة البشرية فيتزلزل إلى درجات عقولهن ليكون الأسوة والقدوة لأمته وقد تبين ذلك في مراعاته لحال سن عائشة رضي الله عنها حيث تزوجها وهي صغيرة تحب ما يحبه الصغار، وتهفو نفسها إلى كل ما تتعلق به الطفولة من لعب وعرائس وما شاهها، ولم يغب ذلك عن النبي ﷺ بل أشبع رغبتها في ذلك بمواقف تبين صدق فهمه ومراعاته لهذه الطبيعة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ)، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي<sup>(١)</sup>.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهولها<sup>(٢)</sup> ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعب فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه<sup>(٣)</sup>).

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٥: ص ٢٢٧٠ كتاب الأدب، باب الانسباط إلى الناس، (يتقمعن): أي أمعن يتعمق منه ويدخلن من وراء الستر فوله (يسربهن إلي): أي يرسلهن، فتح الباري، ج ١٠ ص ٥٢٧.

<sup>٢</sup> (سهولها): شبه بالرف والطاق، عون العبود، ج ١٣ ص ١٩٠.

<sup>٣</sup> سنن أبي داود، ج ٤: ص ٢٨٣ كتاب الأدب، باب اللعب بالبنات قال الشيخ الألباني: صحيح.

وإذا تأملت هذه الأحاديث رأيت حسن معاشره النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها ومعرفته لما تحتاجه حدائنه منها من اللعب وأهميه رعايه الخيال لديها، وغيرها.

بل ما هو أعجب من ذلك حين يسترها بردائه لترى الحبشة يلعبون بجراهم.

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الحبش يلعبون بجراهم فسترني رسول الله ﷺ) وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثه السن تسمع اللهو<sup>(١)</sup>.

هذا هو نبينا محمد ﷺ يضرب أروع الأمثلة في جميل العشرة وحسن الخلق، يقف على قدميه طويلاً ليستر زوجته بردائه ليفسح لها المجال لتشبع رغبتها وحاجتها في النظر لذلك المشهد، دون أن يعمل أو يتضرر أو ينهرها حتى تكون هي التي تنصرف فما أحرانا أن نأتسي بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، في إشباع حاجة الطفولة إلى اللعب لأهميه ذلك في البناء النفسي والاجتماعي.

ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: (فاقدروا قدر الجارية الحديثه السن تسمع اللهو) لأنها عرفت ذلك حينما راعى النبي ﷺ حاجتها وهي في حدائنه سنهنا.

وهذا توجيه دائم لمستولي التربية للأطفال وخاصة رياض الأطفال، والحضانة، والحلقة الأولى من التعليم الأساسي لإعطاء أهميه كبيره للتعليم من خلال اللعب.

## ٢/ الغيرة

الغيرة من الصفات الجبلية التي جبل الله عليها الإنسان، وهي صفة محموده إذا لم تتجاوز حدها من الإفراط فيها فتعمي وتثير الشكوك والظنون، ولذلك يقول

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٥: ص ١٩٩١ كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل.

الرسول ﷺ: (إن من الغيرة ما يحب الله عز وجل ومنها ما يبغض الله عز وجل، فأما الغيرة التي يحب الله عز وجل فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض الله عز وجل فالغيرة في غير ريبة..)<sup>(١)</sup>.

### معنى الغيرة

قال عياض رحمه الله في معنى الغيرة: الغيرة مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين.<sup>(٢)</sup>

ولقد راعى النبي ﷺ هذه الجبلية في مواقف مع أزواجه منها:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ) ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني...<sup>(٣)</sup>.

• وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ (خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة؟ أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك، قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان، قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم)<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> سنن النسائي، ج: ٥، ص: ٧٨ كتاب الزكاة باب الاختيال في الصدقة عن جابر رضي الله عنه قال الألباني: حسن.

<sup>٢</sup> عمدة القاري ج: ٢٠، ص: ٢٠٥.

<sup>٣</sup> سبق تخريجه.

<sup>٤</sup> صحيح مسلم، ج: ٤، ص: ٢١٦٨ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان

• وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم): (كان عند بعض نساته، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام، وقال: كلوا وحبس الرسول (صلى الله عليه وسلم) (الخادم)، والقصعة حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لأبي داود: (قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): غارت أمكم..)<sup>(٢)</sup>.

(قال الطيبي: الخطاب عام لكل من يسمع بهذه القصة من المؤمنين اعتذاراً منه (صلى الله عليه وسلم) لئلا يحملوا صنيعها على ما يذم بل يجري على عادة الضرائر من الغريزة فإنها مركبة في نفس البشر بحيث لا تقدر أن تدفعها عن نفسها)<sup>(٣)</sup>.

وكل هذه المواقف تبين كيف أن النبي (صلى الله عليه وسلم) تقبل تلك الجبلية في نساته ولم تدفعه إلا للتحمل والصبر وحسن الخلق معهن لا للغضب ومساوئ الأخلاق.

#### المسألة الخامسة: حسن الاستماع إلى الزوجة

من طبيعة المرأة محبتها لكثرة الحديث، وخصوصاً مع زوجها لتفضي له بما بداخلها من هموم وأفكار وأسرار ولذا هي بحاجة إلى من يتقبلها ويفتح لها صدره ليسعها وينصت لها.

وترداد محبتها لمن يأخذ منها، وقد كان ذلك واضحاً في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، يتبين من خلال هذا الحديث الذي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستمع لعائشة رضي الله عنها وهي تقوله.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٢: ص ٨٧٧ كتاب المظالم باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره.

<sup>٢</sup> سنن أبي داود، ج ٣: ص ٢٩٧ كتاب الإجارة باب فمن ألسد شيئاً يفرم مثله قال الألباني: صحيح.

<sup>٣</sup> عون المعبود، ج ٩ ص ٣٤٨.

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ... قالت: عائشة، قال رسول الله ﷺ: كنت لك كأبي زرع لأم زرع<sup>(١)</sup>.

وكلام النبي ﷺ يبين حسن استماعه إلى زوجته وهي تحدّثه عن خبر وحديث هؤلاء النفر من النسوة في حديثهن عن أخبار أزواجهن.

المسألة السادسة: الأخذ بمشورتهن

لقد كان النبي ﷺ يحترم أزواجه ويشاورهن في أمور هي من أهم المهمات بل هي من القضايا الكبرى في حياته وفي دعوته بعيداً عن احتقارهن والتقليل من شأنهن.

وبياناً للمفهوم الصحيح لقوله ﷺ: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ...) وقد بين ما هو نقصان العقل وما هو نقصان الدين في تمة الحديث (... قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها)<sup>(٢)</sup>.

فلا يعني ذلك ضعفاً في عقولهن ولا التقليل من مشورتهن والأخذ برأيهن وقد تجلّى ذلك في مواقف منها:

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٥ ص ١٩٨٨ كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ١ ص ١١٦ كتاب الحيض باب، ترك الحائض الصوم.

١/ في بداية نزول الوحي على النبي ﷺ رجع إلى بيته خائفاً يرجف فواده فطمته خديجة رضي الله عنها، ولما اطمأن أشارت عليه بالذهاب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لما عنده من علم الكتاب.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: (كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه قال: والتحنث (التعبد الليلي ذوات العدد) قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: (اقرأ) فقال ﷺ: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (اقرأ) قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (اقرأ) قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾<sup>(١)</sup> فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع قال لخديجة: أي خديجة مالي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به

خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو بن عم خديجة أخي أبيها وكان امرؤ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا بن عم اسمع من بن أخيك قال ورقة: يا بن أخي ماذا ترى فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى فقال: ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك قال رسول الله ﷺ: أو محرجي هم؟ قال ورقة: نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

٢/ في صلح الحديبية لما صالح النبي ﷺ قريشاً على أن لا يطوف بالبيت هذا العام، ويطوف من العام القادم وقد غم المسلمون غماً شديداً على ذلك فلما فرغ من كتابة الصلح أمر المسلمين بالحل والنحر فلم يجبه أحد فاشتد الأمر عليه ﷺ ودخل على زوجته أم سلمة رضي الله عنها فلما أخبرها أشارت عليه برأي سديد:

(... فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ١، ص ٤، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء إلى الرسول ﷺ.

بُدنك وتدعوَ حائلَكَ فيحلقَكَ فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً<sup>(١)</sup>.

وهذه الاستحابة من النبي ﷺ لمشورة أم سلمة رضي الله عنها لأي أمر من أمور الدولة دليل حسن عشرته التي يتقبل فيها مشورة زوجه لما رأى أنه عين المصلحة والصواب، وحقاً لقد كانت مشورة صائبة منها رضي الله عنها. ٣/ وفي هذا الموقف تشير عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن يشتري له ثوباً آخر فيقبل منها ويبعث من يشتري له.

عن عائشة قالت: (كان على رسول الله ﷺ ثوبان قطريان غليظان فكان إذا قعد فعرق ثقلاً عليه، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى المسرة فأرسل إليه فقال: قد علمت ما يريد إنما يريد أن يذهب بجالي أو بدراهمي فقال رسول الله ﷺ: كذب، قد علم أبي من أتقاهم لله وآداهم للأمانة)<sup>(٢)</sup>.

وهذه المواقف تدل على كمال معاشرته ﷺ على قبول مشورتهن في أمور مختلفة ومواقف متعددة لأكثر من زوج له ﷺ.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٢ ص ٩٧٨ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

<sup>٢</sup> سنن الترمذي، ج ٣ ص ٥١٨ كتاب البوع، باب ما جاء في الرخصة إلى أجل قال الترمذي: حسن غريب صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح (قال في النهاية (فطري) بكسر القاف ضرب من البرود ليه حمرة وله أعلام ولله بعض خشونة (بز) هو ضرب من الثياب (إلى المسرة) أي مؤجلاً إلى وقت البس) تحفة الأحوذى، ج ٤ ص ٣٣٩.

## المسألة السابعة: تقبله لمن على أنه زوج

لم تكن الرسالة للنبي ﷺ لتجعله بعيداً أن يعيش مع نسائه كما يعيش غيره من الأزواج على أنه زوج لمن، فما تفرضه عليه الرسالة من القيام بالدعوة والاهتمام بشؤون الأمة لم تكن لتصرف الطبيعة البشرية عن النبي ﷺ، فما يكون بين الزوجين من أمور المعيشة والحياة الزوجية كانت تدور في حياته ﷺ، فيتقبل من نسائه تعامله معهن وتصرفاته على أنه أزواج له ﷺ، ولذا كانت السيرة النبوية في الحياة الزوجية للرسول ﷺ حافلة بمواقف قد يصعب أن تكون إلا من أزواجه، ولننظر إلى هذا الموقف وكيف كان تعامل النبي ﷺ وكيف كانت ردود غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

عن عمر بن الخطاب ؓ قال: (... والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لمن ما قسم قال: فينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا قال: فقلت لها: ما لك ولما هنا فيما تكلفك في أمر أريده، فقالت لي: عجباً لك يا بن الخطاب ما تريد أن تُراجِع أنت؟ وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضباناً، فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضباناً فقالت حفصة: والله إنا لتراجعه فقلت: تعلمين أي أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ. يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسناتها حب رسول الله ﷺ إياها يريد

عائشة قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها فقالت: أم سلمة عجباً لك يا بن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد...<sup>(١)</sup>، فلم يجعل الرسول ﷺ من هيبة النبوة سداً رادعاً بينه وبين نسائه، بل أنساهن برفقه وإيناسه أنهن يخاطبن رسول الله ﷺ في بعض الأحيان<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الموقف يتجلى لنا ملامح الزوج التي ينبغي أن يكون عليها، وإن كان عمر ﷺ والصحابة الكرام يرون محمداً الرسول من عند الله، فإن أزواجه يرينه زوجاً لهن وقد رضي ﷺ بذلك.

فأين نحن من هذا السمو الأخلاقي، والتقبل الجلي للطبائع البشرية فيمن قد يكون بلغ منزلة رفيعة في العلم أو المنصب فلا ينسى أن زوجه تنظر إليه على أنه زوج لها لا على ما بلغه من منزلة عالية في علم أو منصب أو غيره.

المسألة الثامنة: تحقيق مبدأ العدل بين أزواجه

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٣)</sup>.

● قال ابن مسعود ﷺ: (هذه أجمع آية في القرآن خير يُمثل ولشر يُجتنب)<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٤/ص ١٨٦٦ كتاب التفسير - تفسير سورة التحريم - باب تبني مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم - عن ابن عباس رضي الله عنهما.

<sup>٢</sup> عقربة محمد محمود عباس العقاد ص ١٤٥.

<sup>٣</sup> سورة النحل: ٩٠.

<sup>٤</sup> تفسير القرطبي، ج ١٠: ص ١٦٥.

• ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: (العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين، وأما الإحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب<sup>(١)</sup>).

وإذا نظرنا إلى حياة النبي ﷺ وجدناها قد تحققت فيها هذه المعاني من العدل والإحسان، فقد كان بين نسائه ﷺ المرأة الشابة، والكبيرة، والجميلة، ومتوسطة الجمال والبكر، والأرملة، وذات العيال، ومع ذلك كله ما كان يصرفه شيء من هذه الميزات عن أن يعدل بينهن فيما هو قادر عليه من النفقة والكسوة والمبيت، وأما الميل القلبي (المحبة) فقد قال كثير من المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> أنه الحب القلبي.

وقد اعتذر ﷺ عنه فقال: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)<sup>(٣)</sup>.

<sup>١</sup> فتح القدير، ج ٣: ص ١٨٨.

<sup>٢</sup> سورة النساء: ١٢٩.

<sup>٣</sup> سنن أبي داود، ج ٢: ص ٢٤٢ كتاب النكاح، باب القسم بين النساء قال الشيخ الألباني: ضعيف، سنن الدارمي، ج ٢: ص ١٩٣ قال محقق الكتاب الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح. المستلوك على الصحيحين، ج ٢: ص ٢٠٤ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

ومن الأمثلة على عدله بين أزواجه (ﷺ):

١/ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه)<sup>(١)</sup>.

وهذا دليل عدله أن لا يميل إلى أحدهن فيتكرر سفرها معه، بل يعدل بأن يقرع بينهن، وبذلك يرضين جميعاً لمن خرجت عليها القرعة، فتسافر مع النبي (ﷺ).

٢/ وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله (ﷺ) يقسم لكل امرأة منهن يوماً وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يوماً وليلتها لعائشة زوج النبي (ﷺ) تبغى بذلك رضا رسول الله (ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا من العدل الواجب، وهو القسم في المبيت لكل واحدة يوم وليلته دون أن يكون لأحدهن أكثر من غيرها عدا عائشة، فكانت لها ليلتين ليلتها وليلة وهبتها لها سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

٣/ وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (كان للنبي (ﷺ) تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها...)<sup>(٣)</sup>.

٤/ وعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله (ﷺ) كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٢: ص ٩١٦ كتاب المبة، باب مبة المرأة لغير زوجها وعقها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفية فإذا كانت سفية لم يجوز قال الله تعالى {ولا تورا السفهاء أموالكم}.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ج ٢ ص ٩١٦.

<sup>٣</sup> سبق تخريجه.

له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله...<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يبين مدى صدق عدله ﷺ حتى في مرضه لم ينسى العدل بين أزواجه حتى أذنت له جميع أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنهن جميعاً.

### المسألة التاسعة: التحبب والتودد إلى أزواجه

لقد بلغ النبي ﷺ مبلغاً عالياً مع أزواجه من لطفه معهن وتودده إليهن وحسن عشرته لهن تحار منه العقول وتشرئب له النفوس، لتسمو بسموه، وترتقي بعلوه، في لغة من الحياة الزوجية السامية، أذكر طرفاً من هذه الأخبار فيما هو من أدق الأمور في الحياة الزوجية الكريمة للنبي ﷺ، ليسير الأزواج بسيره، وليهتدوا بهديه.

#### ١/ تقبيله لأزواجه ﷺ

لقد كانت حياة النبي ﷺ مع أزواجه حياة مائة مراعية للغريزة والفترة البشرية، فقد كان النبي ﷺ يقبل نساءه على أحوال كثيرة، فتجد بها صدق حبه ومودته لها ومن الأمثلة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم وأنا صائمة)<sup>(٢)</sup>، وفي رواية للإمام أحمد (قالت: أهوى إلي رسول الله

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٦١٧ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ وولائه.

<sup>٢</sup> سنن أبي داود، ج: ٢، ص: ٣١١ كتاب الصوم، باب القبلة للصائم قال الشيخ الألباني: صحيح.

﴿ﷺ﴾ ليقبلي فقلت: إني صائمة قال: وأنا صائم قالت: فأهوى إلي فقبلي<sup>(١)</sup>.

والتأمل في هذه الأحاديث يدرك محبة النبي ﴿ﷺ﴾ لأزواجه حتى وإن كان صائماً فلا يمنع من تقبيل زوجته، ولم يكن هذا التقبيل خاصاً بعائشة بل لكل أزواجه ﴿ﷺ﴾.

عن عائشة أنها قالت كان النبي ﴿ﷺ﴾ ينال من وجوهنا وهو صائم<sup>(٢)</sup>، وفي رواية الإمام أحمد (.. كان ينال شيئاً من وجوهنا)<sup>(٣)</sup>

وإذا نظرت إلى كلمة (وجوهنا) فإنك تدرك أنه لم يكن ذلك خاصاً بالتقبيل فحسب بل يمتد إلى غيره كما تروي ذلك عائشة رضي الله عنها (كان يقبلي النبي ﴿ﷺ﴾ وهو صائم ويمص لسانها)<sup>(٤)</sup>.

## ٢/ تتبع مواضع فم الزوجة في الطعام والشراب

فمن قمة المعاشرة للنبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه أن يتودد إليها ليكسب حبها وتوددها إليه بتصرف يسير، لكن له معاني عالية ورفيعة بتبعه لمواضع شربها وأكلها، ثم يأكل ويشرب من نفس الموضع.

<sup>١</sup> مسند أحمد بن حنبل، ج: ٦، ص ١٣٤ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

<sup>٢</sup> مسند أبي يعلى، ج: ٨، ص ٣٦ قال الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح.

<sup>٣</sup> مسند أحمد بن حنبل، ج: ٦، ص ٢٤٢ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح.

<sup>٤</sup> سنن أبي داود، ج: ٢، ص ٣١١ كتاب الصوم، باب الصائم يتلع الريق قال الشيخ الألباني: ضعيف، مسند أحمد بن حنبل، ج: ٦، ص ١٢٣، صحيح ابن خزيمة، ج: ٣، ص ٢٤٦، سنن البيهقي الكبرى، ج: ٤، ص ٢٣٤.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ) فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب وأتعرق العرق<sup>(١)</sup> وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ) فيضع فاه على موضع فيّ<sup>(٢)</sup>.

٣/ الغسل سوية من إناء واحد

١/ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ) من إناء واحد<sup>(٣)</sup>.

وهذه ميمونة رضي الله عنها تحكي لنا مثل ذلك، كما يروي عنها ابن عباس ﴿﴾.

٢/ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ) وميمونة كانا يفتسلان من إناء واحد<sup>(٤)</sup>.

ومن جمال وروعة وحسن معاشرته لأزواجه وقت الغسل، إن يكون بينهما من الأُنس والدعابة ما يكسب الآخر حبه ومودته، فأنظر إلى هذا الموقف الرائع منه ﴿﴾.

٣/ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ) من إناء واحد تختلف أيدينا فيه<sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> أتعرق العرق: (وهو يفتح العين وسكون الراء، العظم إذا أخذ منه معظم اللحم وجمعه عراق وهو جمع نادر يقال عرفت اللحم وأعرقته وتعرقه إذا أخذت عنه اللحم باستانك) حاشية السيوطي على سنن النسائي، ج ١ ص ٥٦.  
<sup>٢</sup> صحيح مسلم، ج ١ ص ٢٤٥ كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في خاف واحد.  
<sup>٣</sup> سبق تخريجه.

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٠، كتاب الغسل - باب الغسل بالصاع ونحوه.

<sup>٥</sup> صحيح البخاري، ج ١ ص ١٠٣ كتاب الحيض، باب هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها.

وفي رواية للنسائي (كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ) من إناء واحد يبادرني وأبادره حتى يقول: دعني لي وأقول أنا: دع لي. قال سويد يبادرني وأبادره فأقول: دع لي، دع لي<sup>(١)</sup>.

#### ٤ / معاشرته ومباشرته للحائض

فقد كان النبي ﷺ يضاجع أزواجه وإن كانت من يضاجعها حائضاً، وهذا من مراعاة تلك الفطرة التي جبلت عليها المرأة من الحيض والنفاس. فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسلت فأخذت ثياب حيضتي قال: أنفست قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميصة<sup>(٢)</sup>.

وعن ميمونة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ) إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض<sup>(٣)</sup>.

بل كان يخالف اليهود في هجرهم للحائض فكان يؤاكلها ويشاربها ويضاجعها ويتحدث معها ويبحث على ذلك بقوله وفعله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ: ( أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ

فأنزل الله تعالى ﴿وَسْتَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ

<sup>١</sup> سنن النسائي ج: ١، ص: ١٣٠ كتاب الطهارة، باب الرخصة في الاغتسال بفضل الجنب قال الشيخ الألباني: صحيح.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج: ١، ص: ١١٥ كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ج ١ ص ١١٥.

اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿١﴾ إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ: اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) (٢).

ومن مخالفته لهم كما تروي عائشة رضي الله عنها ما يكون بينها وبين النبي ﷺ وهي حائض، كما تقدم من أنه كان ﷺ يضع فاه في موضع ومحل شربها من الإناء وفي العظم من وضع فاه في محل فيها من العظم.

وعن عمارة بن غراب أن عمه له حدثه أنها سألت عائشة رضي الله عنها قالت: (إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد قالت: أخبرك بما صنع رسول الله ﷺ دخل فمضى إلى مسجده، قال أبو داود: (تعني مسجد بيته) فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد، فقال: ادني مني، فقلت: إني حائض، فقال: وإن، اكشفي عن فخذي فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي، وحنيت عليه حتى دفى ونام) (٣).

المسألة العاشرة: مؤانسته بالحديث معهن

لقد كان النبي ﷺ يؤانس أزواجه بالحديث معهن في أوقات متفرقة على صفات مختلفة، فقبل ذهابه لصلاة الفجر تبين عائشة رضي الله عنها حاله معها:

<sup>١</sup> سورة البقرة: ٢٢٢.

<sup>٢</sup> صحيح مسلم، ج: ١، ص: ٢٤٦ كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في الخاف واحد.

<sup>٣</sup> سنن أبي داود، ج: ١، ص: ٧٠ كتاب الطهارة، باب في الرجل يعيب منها من دون الجماع، قال الشيخ الألباني: ضعيف كما في ضعيف الأدب المفرد للبخاري ج ١ ص ٥٥، والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن شواهد أسوالة ﷺ تشهد له.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة)<sup>(١)</sup>.

وعند النوم على الفراش في وقت قد تكون النفس قد كلت من تعب النهار: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت عند خالتي ميمونة رضي الله عنها فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد...)<sup>(٢)</sup>. وفي كل يوم مع كل واحدة من أزواجه:

وعن أنس بن مالك ؓ قال: (كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها...)<sup>(٣)</sup>.

كل ذلك تطبيقاً لنفوسهن وتلبية لحاجتهن الفطرية لتزداد علاقتهن به ومودتهن ومحبتهم له في حياة زوجية كريمة.

المسألة الحادية عشر: التصريح بالحب

من أقوى مثبتات العشرة الزوجية أن يصرح الزوج لزوجته بحبه لها وقد صرح النبي ﷺ بحبه لبعض أزواجه فمن ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (... فأغضبه يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها)<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج: ١، ص: ٣٨٩ كتاب الكسوف، باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٦٦٥ كتاب النفس، باب {إن في خلق السموات والأرض واختلاف}.

<sup>٣</sup> سبق تخريجه.

<sup>٤</sup> سبق تخريجه.

وهذا بعد وفاة خديجة رضي الله عنها مازال يذكرها ويصرح بحبه لها، وقد كانت عائشة رضي الله عنها قد سبقت نساءه بحبه لها يتبين ذلك في مواقف منها:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك قال: عائشة...<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحكي لابن أختها عروة بن الزبير رضي الله عنه (... وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة...<sup>(٢)</sup>).

وقد صرح عمر رضي الله عنه بتلك الحقيقة التي كانت معروفة بين المسلمين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، يريد عائشة فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم)<sup>(٣)</sup>.

المسألة الثانية عشر: تجمله وتطيه لأزواجه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس ومن أحرصهم على التحمل والتطيب، ولا عجب فهو القائل صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال)<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> سبق تخريجه.

<sup>٢</sup> سبق تخريجه.

<sup>٣</sup> سبق تخريجه.

<sup>٤</sup> صحيح مسلم، ج ١: ص ٩٣ كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وريانه.

ولقد رسم لنا رسول الله ﷺ صورة رائعة في حرص المسلم على بدنه بالنظافة والتحمل والتطيب في أمثلة تدل على سمو أخلاقه ﷺ، ولذا يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: ( إن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس<sup>(١)</sup>).

### أ) حرصه على نظافة بدنه

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على نظافة بدنه يتبين ذلك من عدة أمور:

### ١/ حرصه على الوضوء

والذي هو عنوان طهارة هذه الأمة يقول الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان كثير الحث والحرص على الوضوء .

فعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الطهور شرط الإيمان..)<sup>(٣)</sup>.

### ٢/ غسل الجمعة

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ( الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)<sup>(١)</sup>.

<sup>١</sup> فتح الباري، ج ١٠ ص ٣٣٩ .

<sup>٢</sup> سورة المائدة: ٦.

<sup>٣</sup> صحيح مسلم، ج ١ ص ٢٠٣ كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

وهذا من كمال النظافة والطهارة، وما حثَّه عليه إلا دليل حرصه عليه ﴿ﷺ﴾.

### ٣/ السواك ونظافة أسنانه

فمن المعلوم أن تناول الطعام قد يقي بين الأسنان شيء منه وبقاءه قد يسبب تعفنًا أو خراباً للأسنان وكلاهما يسبب خروج رائحة من الفم يكرهها الإنسان. والمتأمل في سيرة النبي ﴿ﷺ﴾ يتبين له شدة عنايته بهذا الجانب فعلاً وقولاً فمن ذلك :

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: ( السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنا نعد لرسول الله ﴿ﷺ﴾ سواكه وطهوره، فبيعه الله عز وجل لما شاء أن يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ ويصلي...) (٣).

حتى في آخر حياته ﴿ﷺ﴾ تحكي لنا عائشة رضي الله عنها حرصه على السواك فتقول:

(دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﴿ﷺ﴾ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبده رسول الله ﴿ﷺ﴾ بصره، فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فاستن به،

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج١ ص٢٩٣ كتاب صفة الصلاة، باب وضوء الصبيان ومن يجب عليهم الغسل والظهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفولهم.

<sup>٢</sup> سنن النسائي، ج١: ص١٠ كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك قال الشيخ الألباني: صحيح.

<sup>٣</sup> سنن النسائي، ج٣: ص٢٤١ كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب كيف الوتر تسع قال الشيخ الألباني: صحيح.

فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى<sup>(١)</sup>.

(ب) لباسه ﷺ

كان النبي ﷺ يتحرى الجمال في ثيابه، وكان ينوع في لبس ثيابه تجملاً وتحسناً فمن ذلك.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ( رأيت النبي ﷺ في حلة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه... )<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة)<sup>(٣)</sup>.

ومعنى حبرة<sup>(٤)</sup>:

• قال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن، وكانت أشرف الثياب عندهم.

• وقال القرطبي: سميت حبرة لأنها تحمر، أي تزين والتحبير التزيين والتحسين.  
وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ( كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص )<sup>(٥)</sup>.

وكل هذا يدل على جماله وحسن معشره بحسن اللباس الذي يجعل من يراه يرتاح ويسر برؤيته.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، ج ٤: ص ١٦١٣ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ وولائه.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج ٣: ص ١٣٠٣ كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري، ج ٥: ص ٢١٨٩ كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.

<sup>٤</sup> فتح الباري، ج ١٠: ص ٢٢٧.

<sup>٥</sup> سنن أبي داود، ج ٤: ص ٤٣ كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، قال الشيخ الألباني: صحيح.

## ج) تطيب النبي ﷺ

كان النبي ﷺ شديد الحب للطيب وكان يكثر منه وكان يقول: (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب..) (١).

وقد حث النبي ﷺ على قبول الطيب وعدم رده.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الريح) (٢).

وفي رواية لأبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل) (٣).

وتصف عائشة رضي الله عنها تطيبها للنبي ﷺ حتى عند الإحرام (كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضح طيباً) (٤).

وفي رواية (كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه وحيته) (٥).

ولا عجب أن تسمع من يصف طيب النبي ﷺ بأنه أحسن الطيب، وما ذلك إلا لحرصه عليه وقطعاً أنه سيكون له نصيب في حياته الزوجية.

<sup>١</sup> سنن النسائي، ج ٧: ص ٦١ كتاب عشرة النساء، باب حب النساء قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

<sup>٢</sup> صحيح مسلم، ج ٤: ص ١٧٦٦ كتاب الألفاظ من الأدب، باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب.

<sup>٣</sup> سنن أبي داود، ج ٤: ص ٧٨ كتاب الرجل، باب في رد الطيب قال الشيخ الألباني: صحيح.

<sup>٤</sup> صحيح البخاري، ج ١ ص ١٠٤ كتاب الفسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد.

<sup>٥</sup> المرجع السابق ج ٥: ص ٢٢١٤ كتاب اللباس باب الطيب في الرأس واللحمة.

عن أنس رضي الله عنه قال: (.. ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم)<sup>(١)</sup>.

(د) تسريحه لشعره

كان النبي صلى الله عليه وسلم له شعر طويل كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كان يضرب شعره منكبيه)<sup>(٢)</sup>.

أي يصل إلى منكبيه من طوله، وقد كان شديد الاهتمام بترجيله وتسريحه .  
فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم (يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله)<sup>(٣)</sup>.

وكانت عائشة رضي الله عنها تسرح شعر النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عائشة رضي الله عنها (أنها كانت ترجل تعني رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ مجاور في المسجد يديني لها رأسه، وهي في حجرها فترجله وهي حائض)<sup>(٤)</sup>.

وهذا دليل عنايته بشعره ومظهره صلى الله عليه وسلم حتى في أوقات العبادة.

يقول ابن بطال:

<sup>١</sup> صحيح مسلم، ج: ٤، ص: ١٨١٥ كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ولين مسه والتبرك بمسحه.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري، ج: ٥، ص: ٢٢١١ كتاب اللباس، باب الجعد.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ج: ١، ص: ٧٤ كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل.

<sup>٤</sup> المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٤ كتاب الحيض، باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

(الترجيل تسريح شعر الرأس واللحية ودهنه، وهو من النظافة وقد ندب  
الشرع إليها قال الله تعالى ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوْا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا  
وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> سورة الأعراف: ٣١.

<sup>٢</sup> فتح الباري، ج ١٠ ص ٣٦٨.